مجلة زانكو للعلوم الإنسانية
ISSN (Print):2218-0222
ISSN (Online): 2412-396X

Vol.29 Issue Con.1 2025
ID No.2952 (PP 445-462)
https://doi.org/10.21271/zjhs.29.Con.1.30

بحث

التفسير القرآني لســـــقوط الحضـــــــــارات

(دراسة حضارية ، فلسفية ، تأريخية)

ياسين رشيد الزيباري / قسم اللغة العربية ،كلية التربية ، جامعةعقرة ، للعلوم التطبيقية، أقليم كوردستان،العراق

الملخص

البحث بعنوان : (التفسير القرآني لسقوط الحضارات) يتضمن قواعد أساسية لسقوط الحضارة ، وذلك ضمن المنظور القرآني ، ويعد البحث جزءاً من فلسفة التأريخ ، واعتمد الباحث على أفكار المفسرين للقرآن الكريم ، قديماً ، و حديثاً ، و أحياناً يجتهد في تفسير الآية ، ضمن المعايير الحياتية الحديثة ، التي تبيّـن إعجاز القرآن الكريم ، و ممـّا تضمنه البحث : مقدمة حول الحضارة ، وتعريف الحضارة ، ومظاهر الحضارة ، و محتوى يتضمن أسباب سقوط الحضارات في القرآن الكريم ، ومنها : تكذيب المصلحين ، وعدم الإستماع إليهم ، وعصيان القادة للمفكرين ، والجور في البيع والشراء ، و فقدان الأخلاق الحسنة ، والظلم ، و البطر ، والترف ، وتبديل الحقائق ، والإعراض عن المبادئ الأساسية ،و الذنوب ، و إخراج الصالحين من البلاد ، و الخروج عن القواعد الإلهية ، والطغيان ، و الكفر ، والفسق ، و الزينة ، و التعالي على الناس ، والربا ، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الدراسة تعتبر منهجاً أخلاقياً ودستوراً للحياة على مستوى الأفراد ، و الجماعات للحفاظ على الحياة الرغيدة ، وتضمن البحث ذكر اكثر من ستين شخصية مع تأريخ الوفاة بالهجري والميلادي ، واعتمد البحث على نحو سبعين مصدراً ومرجعاً

CORRESPONDENCE
ياسين رشيد الزيباري
d.yaseen.r@gmail.com

الاستلام 2024/10/18
النشر 2025/02/15

الكلمات المفتاحية:
دراسة
حضارية
فلسفية
تأريخية

About the Journal
Zanco Journal of Humanity Sciences (ZJHS) is an international, multi-disciplinary, peer-reviewed, double-blind and open-access journal that enhances research in all fields of basic and applied sciences through the publication of high-quality articles that describe significant and novel works; and advance knowledge in a diversity of scientific fields. https://zancojournal.su.edu.krd/index.php/JAHS/about

المقدمة:

1-1 : أسباب إختيار الموضوع :

إن من أبرز الأسباب التي دعتني إلى القيام بكتابة هذا البحث : أن هناك تفاسير كثيرة للتأريخ ، تخلو من الطابع الإسلامي ، و حين التدقيق في الموضوع رأينا أن الدين الإسلامي له تفاسير خاصة للتأريخ ، ولا سيما أن القرآن الكريم له المفهوم الخاص في الأحداث من حيث الدوافع والنية والأسباب والنتائج .

2-1 : أهمية الموضوع :

إن كل عمل يقوم به الإنسان لا بد أن تكون له أهمية من جميع الجوانب ومنها : أن يكون واقعياً ، وأن يستفيد منه الأفراد والجماعات ، وكلما كان مرتبطاً بحياة الناس كان أفضل ، وإذا كان الإنسان يبذل جهداً كبيراً ، فلا بد أن يكون ذا فائدة ، ونظراً لأن الحضارة يبذل فيها جهد كبير ، حتى تصل إلى مستوى الرقي ، و النضج ، و ذلك من ناحية بذل الأرواح ، و تقديم الجهد ، و المال ، و الحصول على الجهد العلمي ، والأخلاقي ، والإنساني ، وقد يستغرق ذلك عقوداً من الزمن ، فالحفاظ على تلك الإنجازات من الأهمية بمكان ، وأتى القرآن الكريم ليعلم البشرية كيفية الحفاظ على الأرواح ، و الأموال ، و الثروات ، و الأوطان ، و الحفاظ على الأخلاق الحسنة التي توفر الحياة الرغيدة للفرد ، و المجتمع ، و ذلك من خلال آيات كثيرة في هذا المجال ، ومن باب حرصنا على الأوطان ، و الأرواح ، و الأموال قمنا بتقديم هذه المعلومات لكل من أراد السلام ، و الأمان ، آملاً أن يكون له أثر في الحفاظ على الحضارة ، و الإستقرار العالمي .

3-1 : نقد المصادر :

إن كل دراسة تكون ناجحة عندما يحصل الباحث على المصادر ، والمراجع ، ذات العلاقة بالمادة ، وقد تكون هناك كتب مستقلة ، أو توجد كتب تتضمن معلومات غزيرة ، أو محدودة ، و أحياناً يقرأ الباحث ما بين الأسطر ، و أما الموضوع الذي نحن بصدده فقد كان المرجع لإغنائه هو تفاسير القرآن الكريم قديماً ، و حديثاً ، و أحياناً لم نجد ضالتنا منها ، فعمدنا أن نحاول فهم القرآن من خلال ما أفاض الله علينا من معرفته ، و نرى أن هناك جوانب كثيرة من القرآن الكريم لم تزل بحاجة إلى التوضيح و التفسير ، و هذا هو سرّ الإعجاز في القرآن الكريم ، و لعلّ من أبرز المصادر التي إعتمدنا عليها هي : جامع البيان للطبري : (ت : 922 م) ، وتفسيرالخازن ، و لباب التأويل ، لأبي حيان : (ت : 745 هـ) ، و البحر المحيط ، ومقدمة ابن خلدون ، و غرائب القرآن ، للنيسابوري (ت 850 هـ) .

4-1 : منهج الدراسة :

تناول الموضوع مقدمة ، ذكرت فيها منهج الدراسة ، و شمل البحث تعريف الحضارة ، ونشأتها ، و طبيعتها ، واسباب سقوط الحضارة في القرآن الكريم ، من جوانب فكرية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وأخلاقية ، و ذكرت بعض آراء الفلاسفة من المسلمين وغيرهم ، وعن الأعلام المذكورة في البحث حاولت جاهداً ذكر الإسم الثلاثي ، مع اللقب ، وتأريخ الوفاة ، بالهجري ، والميلادي ، وبناء على توجيهات الخبراء ، والمقيمين للبحث ، آثرنا أن ندون المعلومات الكاملة عن المصادر والمراجع في نهاية البحث ضمن القائمة المخصصة لها ، واعتمدنا نظام المناهج العالمية بشأن الأعلام والمشاهير ، ولقد اعتمدنا على آراء أكثر من خمسين عَلَماً بين مفسّر ، ومفكّر ، وفيلسوف ، وعالم ، بحوادث الدهر ، وكتبت خاتمة بينت فيها : أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث ، و أبرز التوصيات ، و لقد اعتمدت على أكثر من ستين مصدراً ، ومرجعاً ، وحاولت جاهداً أن أذكر التأريخ الهجري ، والميلادي للمؤلفين ، والنظام العشري للمعلومات عن كل مصدر ، ضمن المنهج العالمي للمصادر .

2- حول الحضارة :

1-2 : تعريف الحضارة :

الحضارة خلاف البداوة ، و تطلق على الّذين يسكنون في الحضر ، أو المجتمعون المتعاونون في سبيل المعيشة ، و درء المخاطر ، فالحضارة بيان لأدوار التطور الإجتماعي ، و كلمة (Civilisation) ، في الإنكليزية تقابلها ، و كذلك يطلق هذا المصطلح على الإنتاجات المادية ، و الأدبية لبني البشر ، بغضّ النظر عن نوع الإنتاج ، بالرقيّ ، و البدائي ، فكل مجتمع له حضارة ، و قد تقترب هذه الكلمة من حيث المعنى بكلمة الثقافة ، و عند التأمل في الأصول اللغوية لها تبيَّنت دلالتها على التطور العقلي من خلال التدريب والتعليم ، ويقابلها لفظ : (Culure) ولفظ الحضارة ، و الثقافة ، يختلطان في المعنى بكلمة المدنية ، وإن كان اختلاط المدنيَّة بالحضارة أشمل من اقترابها بالثقافة ، إلا أن أصل المدنية دلالة على السكن في المدن ، وقد تدرج المعنى حتى صار دلالة على ما وصلت إليه المجتمعات في ميدانِ حضارةٍ لعصرٍ من العُصور ، و مدى المراحل

التطورية الاجتماعيـــة المبتدءة بالبداوة ، ثم الحضارة ، و تليـها المدنيـــة ، لأنّ البداوةَ قائمةٌ على حياةِ صيدِ الحيوانات ، و الـرّعـي ، عن طريق التنقل الدائم ، و تدل الحضارة على الإقامة الدائمة ، والإنخراط في المجتمعات المتعاونة في المعيشة ، و تـدّل المدنيـــة على السكن في المدن ، و الدخـول في الـمجتمعـات المتـّصفـة بالـتـعـقيـد ، و الـرقـي الـمُـفـرط ، و في رأي بأنّـها تـتـمـثـّل في ترف الحياة ، فتظهر الحضارة بأنّـها سِمَـة للإنتاج البشري ، و تحدد سلوك الإنسان غالباً ، و كذلك تحددها الطرق المعيشية و التفاعل مع البيئة ، و كل حضارة تختلف عن الأخرى في مظاهرها المميزة ، سواء في العصور القديمة ، أو الحديثة ، فالحضارة اليونانية تختلف عن الحضارة المصرية ، والحضارة الإسلامية تختلف عن كلتيهما ، و هكذا مع الحضارات الأخرى ، وعند إزالة الإضطِـراب ، و القلق في البلدان ، تحدث وتنشأ الحضارات ، لأنّ الإنسان حريص على الجهود التي صرفها من جهد مالي ، و جسدي ، و فكري ، و يبتغي من ذلك التطور في مهنته ، فإن لم يطمئن على كل ذلك لا يبدع ، فلذلك نراه ينتقل من بلد إلى آخر ، أينما يكون الأمان ، والتوفير في المال ، يكون هناك ، وبعدئذ يشعر بالراحة ، و يتـلـذذ بالحياة ، و ما يقدمه لنفسه ، و أهله ،و بلده . (عصفور : معالم حضارات الشرق الأدني القديم . 2/1) .

و عن أهل الحضر ، و البـدو ، وصف المتنبـــي ، (ت 354 هـ) سمة الحضارة بين جمال نساء الريف الطبيعية ، وجمال نساء المدينة بالتجمل بقوله :

ما أوجه الْحَضَر ، المستحسنات ، بِهِ ... كأوجه البدويات ، الرعابيب

حسن الحضارة ، مجلوب بتطرية ... وَفِي البداوة ، حسن ، غير مجلوب

(الثعالبي ، يتيمة الدهر ، 220/1) ، ويتحدث إبن خلدون : عن الدولة التي تعتبر أساس الحضارة ، فـيـوضّـح بأنّـه لا يتجاوز عمر الدولة أكثر من ثلاثة أجيال :

الأول : الإستمرار على طبيعة البداوة ، توحّـشها ، و قساوتها ، من حيثُ شظف العيش ، والإفتراس ، و الشجاعة ، و التنافس على المجد ، فتكون صورة العصبية متجذرة فيهم ، ويتمتعون برفاهية الحسّ ، و رهبة الجانب ، و خضوع الناس لهم ، مع الغلبة عليهم .

الثاني : تغيير الحياة من البداوة إلى الحضارة ، و من الفظاظة إلى الترف ، والرفاهية ، و من المشاورة في الحكم الى الدكتاتورية ، و وجود ظاهرة نفور الناس عنه بسبب الخمول ، واللهو ، ومن عز التجاسر ، إلى ذلّ الـخنـوع .

الثالث : نسيان فترة البداوة ، و الشراسة ، وفقدان لذة التسلط بما هم فيه من ملـكَـــة الـتّـعـسّـف ، و الـتـّرف يصل بهم أقصى الغايات ، بـما تـنـعـّمـوه من الملـذات ، و بحبوحة العيش ، و تنشأ فيهم طبقة وصفت بالعالة ، و الـثـّقـل على الدولة . (مقدمة ابن خلدون ، 1/ 214) ، و من التعاريف للحضارة بأنها : مرحلة راقية من المجهودات التأريخية ، و وجود فئـــةٍ ملتزمة بركيزة واحدة دافعة لاستمرارية الحياة ، وتطورها حسب متطلبات المرحلة بماهو متوفر من الإمكانات ، لتحقيق الإنجازات الرئيسة ، وفق متطلبات العصر في جميع المجالات .(بتول ، على عتبات الحضارة ، ص 31) .

2-2 : مظاهر الحضارة :

تكمن الحضارة في طبيعة الحياة الشاملة لكل شعب ، ومن أبرز مظاهرها أنها نظام اجتماعي يدفع الإنسان على تطوير الإنتاج الثقافي ، و تكون سماتها شاخِـصَـةً للعيان ، في الناحية الماديـّـة ، والمعنويـّـة ، و للحضـارة عناصر رئيسة و منها : مصادر الإقتصاد ، والتراتيب السياسية ، و نشر العلوم ، و الفنون ، بكل أشكالها ، والنـّظـُم الإداريـّـة ، و الحكم ، و يشمل الاقتصاد التجارة ، والزراعة ، و الصناعة ، و الضرائب ، و ما يدرّ على البلد من الأموال ، والمنافع ، و دراسة ، و تنفيذ طرق توفير العيش الرغيد للشعب من مأكل ، و مشرب ، ومسكَـن ، و تأسيس أسـْرة ، و تشمل الأنظمة السياسية طرائق إدارة الدولة ، و نمط الـتـّعامل مع الشعب ذاته ، و إقامة العلاقات مع دول الجوار ، و صيانة مكانـة الدولة بغيرها ، و على جميع الأصعدة ، وسبل الحفاظ على مكتسبات البلـد ، و منح الحرية للفرد ، و المجتمع ، في مختلف جوانب الحياة ، و شموليـّة العلوم ، تـعـني مراعاة الدنيا ، و الآخرة ، و الإهـتـمـام بمختلف صنـــوف الشعب ، و أفكارها ، و عـقـائِـدها ، و تنظيم العلاقات بين البشر ببنيه ، و بينه ، و بيـن اللّـه . و تـنـظـيـم التقاليد الخُـلـُقـيـّة الشاملة للسلوك البشري ، و يعتمد ذلك على العقائد للشعب ، بمختلف الأفكار سواء من حيث العلاقة بين البشر ، أم العلاقة بين الإنسان ، و الـرّب ، بهدف تزكيـَة النفس ، ويشمل علوم اللّغة ، و التأريخ ، و العلوم الطبيعية ، و الطب ،و الهندسة ، و الـرقـيّ الـعقـليّ هو الأساس الصحيح في كل حضارة ، و كذلك الإدارة ، ونظم الحكم : فالحضارة تشمل النظام الذي يدير حياة البشر ، فيما بينهم ، سواء

من الناحية الإقتصادية ، أو تسهيل حياتهم بمختلف الإتجاهات مما يمنع وقوع الخلافات فيما بينهم ، سواء من قبل الأسرة الصغيرة ، أو الأسرة الكبيرة ، التي هي جميع أفراد الشعب ، بمنح كل ذي حق حقه ، ومنع حدوث إعتداء على أضعف إنسان في البلد . و كذلك تشمل الحضارة جميع النواحي العمرانية ، و الدينية ، و الثقافية ، والإجتماعية .

3- الأسباب الفكرية لسقوط الحضارات في القرآن الكريم :

3-1 : تكذيب المصلِحين وعدم الإستماع إليهم :

ينبغي أن يكون في كل أمة أناس مُصلحون يذكّرون أهلَ الغفلة بالمنكرات التي يمارسونها ، وفي هذا على أهل الغفلة الإستماع إلى أهل الإصلاح ، فإن لم يفعلوا نزل عليهم العذاب ، فقال تعالى : [وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ، كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ] (سورة القمر ، آية 41-42) . وذلك أن اللّه تعالى أرسل (موسى بن عمران ت 1316 ق . م) و (هارون بن عمران ت 1273 ق . م) عليهما السلام إلى آل فرعون ، و كانوا أقباطاً ، فكذبوا بآيات الله كُلها ، و كانت تسع آيات ، وَ هِيَ : سِنُوٌّ الْقَحْطِ ، وَ الْجَرَادُ ، و تحويل الْعَصَا إلى أفعى ، وانتشار الْقُمَّلُ ، وَتَبَدُّلُ لَوْنِ الْيَدِ بَيْضَاءَ ، وَ كثرة الضَّفَادِعُ ، على غير عادتها ، وَ ظُهور الدَّمُ ، وَانْفِلَاقُ الْبَحْرِ ، وَ ظاهرة الطُّوفَانُ ، ومع كل تلك الآيات كذّبوا نبيّ الله ، ولما تحرك البحر إلى طرفيه ، وأصبح وسطه فارغاً اقتحموه للنيل من بني إسرائيل ، ثمّ أعاد اللّه البحر إلى مساره الحقيقيّ حتى هلكوا بالغرق . (تفسير مقاتل ، 4/ 183) ، وأشار الطبري ، إلى ذلك بأنّ العقوبة كانت بسبب تكذيبهم للأنبياء ، وكفرهم بالله ، و إعلامهم بأن اللّه ذو قدرة لاتغلب ، وهو غير عاجز ، و لا ضعيف . (ينظر : جامع البيان ، 22/ 600) ، و ابن عاشور : التحرير ، و التنوير ، 16/ 242) . وذكر القرطبي (ت : 671 هـ) : أنّ لفظ الجمع يطلق على الإثنين ، (ينظر : أحكام القرآن ، 17/ 145) ، لأن المرسل كان موسى ، وهارون إلى فرعون ، ولكن جاء التعبير بصيغة الجمع ، و أورد العمادي : أنّ القصّة بالقسم المؤكّد للإهتمام بالشّأن المعظّم ، لكثرة العلامات والدلالات فيها ، والعذاب الكبير الذي حلّ بهم ، و ذكر رأس الهرم ، و هو : آل فرعون ، إن تعرض للذل والإهانة بهذه الصيغة ، فغيرهم أهون بذلك بكثير ، (ينظر : تفسير أبو السعود ، 173/8) ، ، وهنا دلالة على أنّ القائد يجب أن يزال أوّلاً ، وبعده يزال أتباعه بسهولة ، و أمّا الدكتور الزحيلي : (ت 1932 هـ) فإنّه يرى : أنّ العظة هي الهدف من القصة ، لليقظة والحذر ، والعبرة من غيرهم من أهل السطوة ، والقوة ، بأنّ زوالهم سهل ، إذا أراد الله ذلك بسبب عملهم . (ينظر : التفسير المنير ، 176/27 ، شرح سورة المزمل ، آية 16) ،

إنّ التدقيق في هذا الأمر يوحي أنّ هذا هو دأب أعداء المصلحين ، وذلك أنهم إذا صدّقوا بهم ، سيؤمنون بهم ، فلذلك يكذّبونهم ، وبعد التكذيب يدفعون بالناس إلى محاربتهم ، وبعد محاربتهم ، يتحولون إلى قتلهم أو إخراجهم من البلد ، وبهذا التصرف يتخبط القادة ، و الشعب في تصرفاتهم ، فيهلك الجميع ، أو يصابون بالذل ّ ، و الهوان ، و من أجل حماية الشعب من هذه الكارثة ، ينبغي أن يكون في كل أمّة قومٌ ينصحون القادة بالمخاطر التي تحدق بالشعب ، و إنهم يرون ما لا يراه القادة ، و لا سيما إن كانوا لا يتمتّعون بأفق واسعة في السياسة ، و التدبير ، فيقوم هؤلاء المفكرون بالتنبوء بالمستقبل ، وقد تكون هذه الآراء متعارضة مع منافع القادة ، فيبدؤن على تكذيبهم أولاً في سبيل إبتعاد الناس عنهم ، ثم تبدأ المحاربة الفعلية .

3-2 : عصيان القادة للمصلحين :

أخبر اللّه تعالى عن محاربة القادة ، و الزعماء ، في كل زمان ومكان ، للمصلحين والمفكرين ، إلاّ ما عصم اللّه تعالى ، فأخبر عن ذلك ، بقوله : [فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً] (سورة المزمل ، آية : 16) ، ويبيّن الله لعباده ، أن فرعون الذي علا في الأرض ، وأقام حضارة عمرانية كبيرة ، أراد من خلالها أن يصعد إلى السماوات ، واشتهر بإعداد السَّحَرة للقيام بسِحْرٍ عظيم ، و مع كلّ ذلك لَمّا عصى أوامر الرسول الذي بعثه اللّه إليه ، ليُقيم العدالة ، و يبتعد عن الظلم ، أهلَكَه اللّه تعالى ، بأشدّ الهلاك ، و نأخذ العبرة من هذه الآية : أن صاحب الحضارة ، و الدولة مهما ارتفع ، و تطوّر في الحضارة ، عليه أن يستمع إلى أهل الرأي ، و المشورة ، و أمّا إن تجبّر ، و تفرّد بالرأي ، ولم يستمع إلى أولي الرشد فسيكون مصيره الهلاك مع حضارته ، و قوّته ، و جَبَروته .

3-3 : تبديل الحقائق :

من أسباب هلاك الشعوب ظاهرة تبديل الحقائق ، وتزويرها ، حسب مصالحها دون مُراعاة شعور الناس ، وإن كانوا بالآلاف ، و قد يكون الآلاف ضَحِيَّة شخصٍ واحد ، و تَحَدّث القرآن الكريم في هذا المضمار ، حيث جاءت الآية مُبَيّنَةً لهذا الأمر :

[فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] (البقرة ، آية 59) .

نفهم من النص أن الآية مستمرة لكل زمانٍ ، و مكانٍ ، و إن كانت نزلت لقضيّة مُعَيَّنةٍ ، و تشير إلى حالة منتشرة بَيْن أصحاب السّلطة ، و المَصلحة في كلّ زمان ، بأن يُخْضِعوا كلّ شئٍ لمصلحتِهم ، و في الحَقيقّة حينَما تَحْدث نازلَة ، ينبغي أن تكون هناك جهة مستقلة أمينة تقوم بالتحقيق دون خوفٍ ، و وَجَل حتى يأخذ المظلوم حقَّه ، و كم من مظلوم بقي مظلوماً في غياهب السجون ، ولم يؤخذ حقُّه من الظالم ، بسبب تدخل جهة خارجية بتغيير الحقائق ، فلذلك يعتبر الظلم من أهم اسباب الإنهيار الحضاري .

4-3 : الإعراض عن المبادئ الأساسية :

أخبر تعالى عن عواقب الإبتعاد عن المبادئ الأساسيَّة لكل أمَّة ، بقوله تعالى : [لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ] (سورة سبأ ، آية : 15-16) ، تشير الآية إلى حالة نزول النعمة على العبد عليه بشكر اللّه تعالى ، والحرص على الإستقامة ، و استخدام ذلك في نعم الله ، فإن ابتعَدوا عن الطريق المستقيم فسيعذّبهم اللّه تعالى بأنواع العذاب ، وتبديل الطيبات ، بأنواعٍ من الأطْعِمَة القاتلة ، و من هذه الثمار : الخمط ، و هو الحريف الحامض ، و المرّ ، و الخمط هي الشجرة ذات الأشواك ، والشجر الطَّرفاء تسمّى الأثل ، و ما كان مشابهاً لها ، و لكن تكبرها و تسمّى النبق . (ينظر : العاني ، بيان المعاني ، ص 505) .

5-3 : إخراج المصلحين من البلاد :

إنّ من أسباب إنهيار الحضارات محاربة أهل العلم ، والصالحين ، والمصلحين ، الذين يحرصون على مصلحة الفرد والمجتمع ، و مصلحة الفقراء ، والمحرومين ، فإن لم يكن في المجتمع من يصلح المفسدين يَنهار المجتمع ، و محاربة المصلحين عامل رئيسيّ للخروج من البلاد ، و بخروجِهم يحِلّ الجهل محَلّ العلم ، و يحلّ الدّمار مكان الإعمار ، والظلم ، محَلّ العدل ، و المَرض على الصحة ، و الإستهلاك على الصناعة ، و البطالة على العمَل ، و السّرقَة على الكسب ، و في هذا يقال أن رئيس دولة نسَمتُها أكْثَر من عشرينَ مليون شَخْص ، ذهب للعلاج في دَولةٍ أخرى ، فقال المُعالِجون : عجباً لدولة فيها عشرون مليوناً ، ليس فيهِم من يُعالِج رئيسَهم ، و لَجَأ إلى دولة أخرى للعلاج ، وفي هذا جاء في القرآن الكريم : [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ، أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ، فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ، وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ، وَخَافَ وَعِيدِ ، وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ] (سورة إبراهيم ، آية 13-15) ، و قال تعالى : [وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ، أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ] ، (سورة محمد ، آية 14) .

6-3 : الخروج عن القواعد الإلهية :

إن لاستقرار الحضارة ، و ثباتها ، و ديمومتها قواعد أساسيّة ثابتة ، و يجب أن تنشر هذه القواعد بين أفراد الشعب ، و أنْ تكون القيادة على اطّلاعٍ على ذلك ، و نستطيع أن نسمّيها دستور الحياة ، و متى ما خرج الشعب عن هذا الدستور سيحلّ بهم الدمار ، و بَيَّن القرآن الكريم : أنّ أساسَ بَقاءِ الحياة الطبيعيّة للشعوب هو الإلتزام بالأوامر الإلهية ، و متى ما خرجوا عن تلك الأوامر ستختل الحياة ومن الآيات في هذا المجال : [وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ، فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا] ، (سورة الطلاق ، آية 9- 10) .

الآية عامّةٌ لكلّ الشعوب ، و ذكر القرية هنا مجازيّ ، والمقصود هو العموم ، والآية بَيانٌ لأصحاب الرئاسَةِ ، وَ رِجَالِ السِّيَاسَةِ ، بأنّ فساد الناس ، و هجْر الدّين فيه هلاك الدُّنيا ، و زوال النِّعَم ، و الطمأنية و الأمن ، و الأمان مشروطة ، بالتّمسّك بمبادئ الإيمان ، لذا شُرِع الأمر ، بما هو معروف ، و كان النّهي عن المنكر ، من واجبات الإيمان ، و هو واجب على جميع الأفراد ، كلّ حسب موقفه ، سواء كان باليد ، لصاحب اليد ، أو اللسان لصاحب اللسان ، او بالقلب ، لمن كان ضعيفاً لا يستطيع غير ذلك ، والإحساس بالقلب يدفعه يوماً لتغيير موقفه ، فالرضا يُورث الخضوع ، و الخنوع ، و الرفض القلبيّ يورث العمل المستقبلي . (ينظر : الشنقيطي ، أضواء البيان ، 8/ 218) .

7-3 : ارتكاب الذنوب :

من خلال مراجعة المعاجم العربية ، رأينا معاني متعددة لهذا المصطلح ، و منها : كل ما يلحقه الذم فهو ذنب ، و قبيح الفعل الذي يرتكبه الإنسان ، يعتبر ذنباً ، و رذائل الأفعال تعتبر ذنباً ، و أخذ من ذلك ذنب الحيوانات ، و هو رذائله ، و فسر لغوياً بالقطع : وقطع التمر تسمى الصرام . (ينظر : العسكري ، الفروق اللغوية : ، 233/1) ، و قد وردت آيات كثيرة في أثر الذنوب على هلاك المجتمع ، و هو الخروج ، و منها : [فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] ، (سورة العنكبوت ، آية 40) . [أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] (سورة الأنعام ، آية 6) .

نفهم من الآيات السابقة أن الخروج عن القواعد العامة في المجتمع يكون سبباً في هلاك المجتمع ، و هنا دعوة لاحترام الأنظمة ، و القوانين ، و هو جزء من الحضارة ، و ذلك في السّر ، و العَلَن ، أمّا إهمال تلك النواميس فيكون من باب التخلف ، و الجهل ، و يكونان سبباً في الهلاك ـ لعموم الفوضى في البلاد .

4- الأسباب الأخلاقية لسقوط الحضارات في القرآن الكريم

4-1: فقدان الأخلاق الحسنة :

من أبرز مظاهر الحضارة الروحية أن يتحلّى الشعب بالأخلاق الحميدة ، وبعكس ذلك تنهار الحضارة ، ونقصد بذلك كل مجموعة مستقرة في مكان ما ، إبتداءً من العائلة الصغيرة ، مروراً بالقبيلة ، والإمارة ، والدولة ، والإمبراطورية ، وتعتبر الأخلاق مقياساً للبقاء ، والفناء ، ولقد تحدّث الفلاسفة عن الأخلاق وقسّموها إلى حسنة ، وسيئة ، و بيّنوا أثرهما على المجتمع ، وأتى القرآن الكريم فوسّع المفاهيم وبيّن نتائج الأخلاق على الأمم ، و الْقُرْآن كُلُّهُ عِلَاج لِجَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الذمِيمَةِ ، وهو شفاء للأمراض التفسية ، فالأخلاق الفاضلة يجب الإتصاف بها ، والْأَخْلَاق كُلُّهَا حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ، و وصل الأمر بالإهتمام بالأخلاق بتأليف كتب مستقلة في هذا المجال ، و من ذلك :

-مكارم الأخلاق : تأليف إبن أبي الدنيا ، (ت 281 هـ) ، و مساوئ الأخلاق : للخرائطي ، (ت 327 هـ) ، و مكارم الأخلاق : للطبراني (ت 360 هـ) وغيرها كثير ، وكثير .

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم ، بهذا الصدد ، و نستطيع القول : أن القرآن كلّه أخلاق ، ونذكر هنا بعض الآيات التي تهتم بالأخلاق : [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً] (سورة البقرة ، من الآية 83) ، وقال تعالى : [ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ،وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ، فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ، وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ] (سورة القلم آية 1-13) ، وقال تعالى : [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ] ، سورة الأعراف ، آية 199) ، و جمعت هذه الآية المكارم الأخلاقية التي أمرت الرسول للإتصاف بها ، و قال قَتَادَةَ : صفة المنافق الخنوعة ، لسانه شكلٌ ، وقلبه آخر ، علمه مهجور في الصباح على حال ، و في المساء على آخر ، وفي المساء شكل ، و في الصباح غيره ، إمّعيٌّ يميل مع الريح . (ينظر : الرازي : تفسير القرآن العظيم ، 43/1) .

من هذا المنطلق يتضح لنا أن هذه الأخلاق السيئة التي مرّ ذكرها ، و التي هي جزءٌ ، من كلّ ، تعتبر هدماً للمجتمع ، لأنها تورث الحقد ، والحسد ، والكراهية ، وتتعاظم هذه شيئاً فشيئاً ، حتى تصبح ثورة داخلية ، فإن لم ينجح أهلها سيستعينون بجهة خارجية وعند ذلك يخسر الجميع ، و تزال الدولة من الوجود ، أو تتراجع إلى الوراء مئات السنين ، وقد قال الشاعر أحمد شوقي (ت 1932 هـ) :

إِنَّما الأُمَمُ ، الأَخلاقُ ، ما بَقِيَت ... فَإِن هُمُ ، ذَهَبَتْ أَخلاقُهُم ، ذَهَبُوا

(المهدي ، صيد الأفكار ، 1/ 688) .

4-2 : الزينة :

من أسباب سقوط الحضارات في القرآن الكريم ، الزينة ، وفي هذا جاء في القرآن [وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ] ، (سورة يونس ، آية 88) . تعتبر الزينة سبب الخروج عن المألوف ، و حبّ الدنيا ، والزينة عبارة عن كل ما يتزيّن به الإنسان من اللباس ، و التّخَتّم ، و التّنَعّل ، و المركب ، و المسكن ، و الإضاءة ، و التّبريد ، و التدفئة ،

والخدم ، وأثاث البيت الفاخر ، و الأشياء الجميلة ، خارج حدود المعقول فبيَّن تعالى آثار ذلك على الإنسان : وكلمة (ليضلوا] ، اختلف العلماء في دلالات اللام ، فذكر الفراء : أنها بمعنى (كي) فتكون الأموال سببا للضلال ، لأنَّها تسبّب الضلال والبطر ، والطغيان في الأرض ، و تتسبب في التكبر على الناس . و بيَّن الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي (ت 380 هـ) : نتاج الزينة الضلال غالباً ، ولمّا أوتي فرعون هذه الأشياء ، تكبر ، و خرج عن المنهج الإلهي والمعنى : فتكون اللام لنهاية الأمر ، وهو الإبتعاد عن الفضائل ، و أورد ابن الأنباري (ت 328 هـ) : أنَّ اللام المكسورة للدعاء ، للإستقبال ، وافتتاح الكلام ، فإنهم ابتلوا بما يضلهم عن الطريق السوي ، فكان الدّعاء عليهم ، بالضرب على أموالهم ، وفنائها ، بجميع الأشكال . (ينظر : الخازن ، لباب ، 2/ 458) .

3-4 : التعالي على الناس : ،

تشير المصادر الإسلامية إلى أنّ من صور الحضارة في الإسلام أن يتعايش الناس بصورة طبيعية فيما بينهم ، لا يتعالى أحدهم على الآخر ، بسبب السلطة ، أو العائلة ، أو المال ، أو الجاه ، فإن ظهرت فيهم حالة التعالي ، و التكبُّر فتلك سمة الهلاك ، و حلول الدّمار ، لأن الفقير ، و المحروم سيأخذ بثأره مع الآخرين ، في يوم معين ، و في هذا ذكرت آيات كثيرة ، و منها : [إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] (سورة القصص ، آية 4) .

5- : الأسباب الأقتصادية لسقوط الحضارات في القرآن الكريم

1-5 : الجور في البيع والشراء :

من أبرز مظاهر الحضارة في الدولة مظهر التجارة الحرة ، في البيع ، و الشراء ، و أن يكون كل فرد حراً في عمله هذا ، إلاّ ما يخالف القوانين ، و بهذه الحالة تسود المَودّة ، و المحبّة في قلوب الناس ، و بعكس ذلك تظهر بوادر الفساد ، وتنتهي بالصراعات بين الناس مما يؤدي إلى الإنهيار المتنوع ، و لقد وردت آيات كثيرة تحُثّ الناس على الإلتزام بمبادئ العدل و الإنصاف في التجارة ، ومن ذلك قوله تعالى : [وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ] (سورة المطففين ، الآيات 1-3) ، و قوله تعالى : [أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) (سورة الشعراء ، آية 181- 183) .

وعند الرجوع إلى أقوال المفسرين رأينا أنهم قد أبدوا آراءً كثيرة في هذا الصدد ، بعضها ظاهرة ، و أخرى في التأويل ، و الفلسفة ، و اخترنا بعضاً من تلك الأقوال ، و منها : ما فسّره البلخي (ت 150 هـ) : بعدم إنقاص حقوق الناس ، بجميع الصور ، (ينظر : تفسير مقاتل ، 1 / 401) . وقال الطبري عن البخس : بأنّ نقص حقوق الناس هو الظلم . و المثل : (تَحَسَبُهَا حَمْقَاءَ وَهِيَ بَاخِسَةٌ) ، أي : ظَالِمَةٌ ، و في الآية : [وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ] ، (سورة يوسف: آية 20) ، أي : رَدِيءٌ ، (جامع البيان ، 10/ 318) ، و فسّر الرازي (ت : 327 هـ) : البخس بأنّه تغيير البضاعة ، و تبديلها بالردئ (ينظر : تفسير القرآن العظيم ، 6/ 2071) ، و أمّا السمرقندي (ت 373 هـ) فأوضح بعدم إرتكاب المعصية ، في البيع والشراء (بحر العلوم ، 1/ 546) .

يتبين هنا أن من أبرز حقوق الناس : أن يكونوا أحراراً في البيع والشراء ، فلا يجبر أحد على البيع ، كما يفعل كثير من الطغاة بإجبار أناس على بيع ممتلكاتهم ، وبأسعار مخفضة دون رضاهم ، و كذلك الحال بالنسبة للشراء ، كأن يقول لشريكه : إمّا أن تشتري ، و إما أن تبيع ، بعدما رأى بأن التجارة قد ، و أنّ المشروع قد نال النجاح ، و لقد حدثت مشاكل كثيرة عبر التأريخ في هذا المجال ، كأن يطمع شخص في بقعة معيّنة من الأرض ، فيأخذها منه جبراً ، وبسعر زهيد ، أو رمزي ، وبيّن الله تعالى أن هذا العمل هو من المفاسد في الأرض ، و بظهور الفساد يكون الهلاك . و بيَّن الرازي (ت : 606 هـ /) في تفسير الآية : الفرق في الوزن قليلٌ ، مقارنَةً بعذاب اللّه في الآخرة ، فلا تُفَرّطوا بالكثير من القليل (مفاتيح الغيب ، 20/ 338) ، و القرطبي (ت 671 هـ) : أوضح أنَّ البخس هو : النقص (الجامع ، 7/ 248) ، و ذكر النسفي (ت 710 هـ) البخس : هو التقليل في الأثمان ، وعدم تقييم البضاعة بالصورة الصحيحة بسبب الطمع في المال . (تفسير النسفي ، 2/ 169) ، كما نرى الحال عند البيع يكثر القيمة ، وعد الشراء يقلّل القيمة بغير إنصاف .

ومن أبرز نواحي الظلم ما اعتاده بعض الناس من القيام بنقص الثمن بعد الإتفاق على السعر المحدد ، كما هو الحال بالنسبة لأصحاب السيارات فيتّفقون على سعر ثم يقول لنتجوّل بالسيارة ، فيصطنع عيوباً لها ، لكي ينقص من السعر ، و هنا تحدث مشاجرات كثيرة ، و على أقلّ تقدير ينجم الحقد فيما بينهما مما يؤدي في كثير من الحالات إلى المنازعات ، وتتفاقم

إلى إنهيار المجتمع ، و قال النيسابوري (ت : 850 هـ) : البخس معنوي هنا فلا تنقصوا من محبة إخوانـكـم ، و من ذلك لا تبخلوا علـيـهـم بالنصيحة. (غرائب القرآن ، 4/ 48) .

يتضح من كـلّ ما تـَقـَدّم أن من مبادئ الحضارة صيانة حقوق الناس ، من جميع الجوانب سواء في العيش الرغيد ، أو إستيفاء حقوقهم في الميراث ، أو إيفاء حقه في البيع والشراء ، وأحياناً لا يكون الإنسان على إطلاع بحقيقة السعر فيشتري من شخص بأقـلّ مـن سعره الحقـيـقي فيكون قد ظلمـَـه ، و مثل هذه الحالات كثيراً ما تقع من الشراة المتجولين الذين يطوفون في الأزقـّة ، و الشوارع ، أو الذين يشترون السيارات ، و الدور ، و الأراضي ، وكل شئ يقوم الإنسان بـبـيـعـه ، و كذلك حينما يـمـرّ الإنسان بضائقة ماليـَّة لـمـرض ، أو نـزول نازلـة ، به فيقوم ببيع حاجته ، بأقـَـلّ من سعره فإن قام أناس بخلاف ذلك فاستغل أصحاب النفوذ ، والمال أوضاع الفقراء ، و المحرومين ، وأحيانـاً يتـفـقون فيما لعدم الشراء حتى يجبر صاحب الحاجة ببيعها بأبخس الأثمان ،آ فيكون هؤلاء قد تحاملوا على هذه الطبقة المترفة ، وبعد حلول النقمة عليهم يثور هؤلاء الفقراء وتحل الندامة بالجميع .

2-5 : البطر :

يتحدث القرآن الكريم عن البطر ، كصفة سيئة لدى الإنسان ، وذنب كبير يعاقب اللـّه عبده عليه ، وبالإضافة إلى ذلك فيكون البطر سبباً لسقوط الحضارة على المستوى الشعبي ، والأمـمي ، والعالـمي ، فقال تعالى : [وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ] (سورة القصص ، آية 58) .

يفهم من الآية الكريمة ، أن اللّه يحذر عباده بأنه قد أهلك كثيراً من الأمم بسبب البطر ، ولم تبق لهم آثار إلاّ قليلاً ، وكان الصالحون هم الورثة لأولئك الفاسدين ، وكان للمفسرين أقوال كثيرة ، عند الوقوف على الآية الكريمة من حيث توضيح مفردات الآية ، و من حيث المعاني العامة ، والنتائج المترتبة على البطر ، وحاولنا جاهدين أن نختصر ذلك ، ومن ذلك :

المفهوم القرآني للقرية أنها المدينة ، و ليس ماهو معروف بالعرف بإطلاق الريف على القرية ، وفي المصطلح القرآني هو البلد . (حطيبة ، 6/ 176) ، وأما معنى البطر فلقد إختلفت آراء العلماء في ذلك ، ومنها :

البطر : الطغيان بالنعمة ، قال ابراهيم بن سعد بن ابراهيم الزهري (ت 184 هـ) المعنى : بطرت في معيشتها ، و ذكر الفراء (ت 257 هـ) : أبطرتها معيشتها ، ثم قال تعالى [فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ] (سورة القصص ، آية 58) . وفسـّر الفراء : أنه حـلّ بها الدّمار والخراب ، وأصبح السكن فيها قليلاً جداً . (النحاس ، معاني القرآن الكريم ، 5/ 190) . [بطِرَتْ] معنى : كفرت وغمطت . وقيل : البطر عدم تحمل الغنى :فكل الناس لايستطيعون الصمود أمام المال والجاه، أو لايحفظون حق الله في النعمة (الزمخشري ، الكشاف ، 2/ 428) ، ويقال : (بطروا ، و أشروا) تمتعوا بنعم اللّه ، و أنكروها ، ولم يشكروا المنعم ، و البطر : تكبـّـر الغافلين ، و أهل الباطل ، و ارتكاب المعاصي ، بالصور المختلفة ، سواءٌ على مستوى الأعمال ، والنـّعـَـم ، فحـلـّت بهم صنوف العذاب ، في المعيشة ، والنفـسـيـّة ، وفقدان القصور ، والدّيار ، وأصبحت مرتعاً لأعدائهم ، (الطبري ، تفسير الطبري ، 18/ 290 ، والبلخى: تفسير مقاتل بن سليمان ، 3/ 351 ، والرازي ، تفسير القرآن ، 9/ 3996) . ومن معاني البطر : الطغيان ، والكفر، بالربّ ، و أشار إلى هلاك القرية لأنها السبب في المعيشة ، من حيث الزراعة ، والثروة الحيوانية ، وغيرها . (الطبري ، تفسير الطبري ، 18/ 289) . و قال عطاء بن أبي رياح أسلم بن صفوان (ت 114 هـ) : مقابل نعم الله خضعوا لغيره . (الثعلبي: الكشف ، 7/ 256) .

ويفهم من هذا أن الإنسان يجب عليه أن يعلم أن الرازق هو اللّه تعالى ـ فلا يليق به أن يعبد غيره ، و نستلهم من هذا أن يكون هذا بين العباد أنفسهم ، فيصاب العبد بخيبة أمل حينما يخدم إنساناً ، ويطعمه ، ويحسن إليه ، ولكن هذا الشخص يقوم بإيذاء المحسن إليه ، و ربما يذهب فيخدم أعداءه ، بلا شك فإنّ صاحب الإحسان سيتألم كثيراً ، و قال الزجاج (ت 311 هـ) : البطر : عدم شكر النعمة . (النيسابوري ، الوسيط ، 3/ 404) . و النعمة : كلمة شاملة لكل شئ حسن ، و منها الأمان ، و كل ذلك يحتاج إلى الشكر ، (الزمخشري : الكشاف ، 3/ 428) ، و البطر : عدم تحمل الغني مما هو فيه وعدم صيانة حقوق الله تعالى . (النسفي : تفسير النسفي ، 2/ 651) ، و قيل : تـتـّـحد كلمة البطر ، و الأشَـر بمعنى واحد ، و هو ما يطرأ على الإنسان من سوء التصـرّف ، وعدم الحفاظ عليها ، واستخدامها في النواحي السيئة ، و اتصاف صاحبها بالخفة ، وا لذلة في طريق الشهوات ، و ذكرهم بتدمير حضارات وقرى كثيرة إنـتـهـجـوا بهذا المنهـج ، وأخبرهم بالتدبـّر ، والسير في نواحي الأرض للإطلاع عليها وهو دهش يعترى الإنسان من سوء إحتمال النعمة ، و قلة القيام بحقها ، و صرفها إلى غير وجـهـهـا ، ويقاربه البطر ، وهو خفة أكثر ما يعترى من الفرح وآنتصاب معيشتها ، والمعنى : وكم من أهل قرية كانت حالهم كحال أهل مكة فى الأمن وسعة العيش ،

حتى أطغتهم النعمة وعاشوا فى الكفران فدمّرنا عليهم وخرّبنا ديارهم فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ خاوية بما ظلموا ترونها فى مجيئكم وذهابكم لَمْ تُسْكَنْ من بعد تدميرهم إلاّ زمانـــاً قليلاً إذ لا يسكنها الا المارة يوماً او بعض يوم ، ويحتمل ان شؤم معاصى المهلكين بقي أثره فى ديارهم فلم يبق من يسكنها من أعقابهم إلا قليلاً إذ لا بركة في سكنى الأرض الشؤم . (إسماعيل ، روح البيان ، 6/ 478) ، وفي رأي سكـنـتـها الهوام ، ولذا كان من تسبيحها سبحان الحي الذي لا يموت ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ منهم لتلك المساكن إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم . (المصدر السابق) ، ويمكن أن يقال : كم إنسان بنى منازل لا تعد ، و لا تحصى ، وصرف عليها ما لا يعد ، ولا يحصى من الحرام ، واستخدمها للحرام ، ولم يشكر الله تعالى ، فعاقبه الله بأشدّ العقوبات ، ولربما لم يستطع أن يسكن فيها ، وتركت لأعدائه ، أو ربما دمّرها أعداؤه إهانة له ، أو هو دمّرها بنفسه حقداً وحسداً .(الآلوسي (ت : 1270هـ) ، روح المعاني ، 10/ 305 ، و الجاوي ، مراح ، 2/ 203) ، وقد يكون التعبير للتخويف ، من سوء الإستعمال للنعم ، والمعاملة بالسوء مقابل التنعيم ، ومن صور الخروج عن المألوف ، الكذب ، والكبرياء ، وعدم الإعتراف بالمنعم ، بأنـّها من جهوده وعقله في الحياة الدنيوية ، ومن الخروج عن الطاعة ، قلة التحمـّـل والكراهية للشئ دون الأسباب المالوفة . (محيي الدين ، إعراب القرآن ، 7/ 355) ،

يتضح من النص أن بعض الناس لايقدرون ما انعم الله عليهم ، ولا يعظمون النعمة ، ولا يذكرونها ، و لا يستطيعون الصمود بوجهها ، وفي المثل الكردي : (أن الفقير إذا أصيب بنعمة : فإما أن يقتل رجلاً أو ينهب إمرأة) بل يكرهونها ، ويخـفونها ، ويعيشون باضطراب وقلق ، وكأنهم يموتون من الجوع من التشكي ، والتظلم ، والتأفف ، وإذا قابلهم شخص ، او زارهم ، كـأنه قد ذهب إليه ليستجدي منهم ، وكل هذا بطر بنعمة الله تعالى ، وطريق من طرق الزوال ، ومن التفاسير للآية : لفظ (كم) هنا خبرية للتكثير ، أى : بأنّ هناك حالات كثيرة ، قد لحقهم الدمار والخراب ، قد كانوا في سعة من الررزق ، وبسط اليد ، أشبه بأهل مكـــّة ، وما منعهم ذلك من السقوط والإنهيار ، فخذوا العبرة منهم . (البلخي ، تفسير مقاتل ، 2/ 502 ، و طنطاوى : التفسير الوسيط ، 10/ 424)

3-5 : الترف :

يتحدث القرآن الكريم عن نوع من أنواع الهلاك للشعوب ، والحضارات ، حينما يصاب هذا الشعب بهذا المرض ألا وهو مرض التـّرف ، ومن خلال مراجعة القواميس العربية لمعنى هذه الكلمة نـبـيـّن شيئاً من ذلك :

أصل هذه الكلمة من الفعل الماضي (ترف) والمصدر هو التَّرَف : وهو تَنعيم الغذاء ، والمُـتـْـرَفُ : الإنسان المتنعـّم ، دون عمل ، والحاصل على المال دون جهد ، فيصرفه بلا مبالاة . (الفراهيدي ، كتاب العين ، 8/ 114) ، والتـرَفُ : التَّنَعـيـمُ ، والترّفـيـه ، و إعداد الغذاء الحسن مع الزيادة ، والمترف ما ظهر عليه الإسراف في المظهر ، والبدن ، بصورة تجعله يتكابر على الناس بذلك ، كارتياده لأماكن الأطعمة ، والمشروبات ، والمساكن باهظة الأجور ، وتتبعه لشهواته بجميع اصنافها . (لسان العرب ، ابن منظور ، 1/ 429 ، و الرازي ، 1/ 83) . ومن الآيات التي ذكرت في هذا المقام : [لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَساكِنِـكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ ، قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ ، فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ] (سورة الأنبياء ، ألآيات 13- 15) . [لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ] (لا تتسرعوا ، والتزموا الإستقامة ، و ينبغي التذكير بالحياة السابقة من حالات العيش الرغيد ، من جميع النواحي ، من الرفاهية ، واللين في الكسوة ، (الزمخشري : الكشاف ، 3/ 103) .، ونختارهذه الآية للغرض المنشود : و من التفاسير للتـرف : [لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ] أي لاتندفعوا كثيراً إلى الأمام ، وعودوا إلى ما كنتـم عليه من الذنوب ، والبطر ، والخروج عن المألوف ، وهو صيغة من صيغ الإستهزاء بهم ، بأنـّـه لا تستطيعون الرجوع إلى حياتكم السابقة . (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 11/ 275) ، [لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ] هَذَا تَهَكّـم بِهِمْ قَدَرًا أَيْ : قِيلَ لَهُمْ قَدَرًا : لَا تَرْكُضُوا هَارِبِينَ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ ، وَارْجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالسُّرُورِ، وَالْمَعِيشَةِ وَالْمَسَاكِنِ الطّـيِّـبَةِ . (ا بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، 5/ 335) ، [لاَ تَرْكُضُواْ] وهووصف للسان حالهم الذي حـلّ بهم ، من جميع النواحي الحياتية ، قد تغـيـّـرت حياتهم ، و انقلب كل شيء إلى ضده ، من الطعام والشراب ، و الكسوة ، و التفاخر بالمظاهر ، و بناء القلاع على العيش في الصحاري ، ومن الحياة المعتدلة إلى أجواء الحر الشديد والبرد القارص ، وفقدان كل ذلك بسبب الترف . (أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، 6/ 58) ، (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ) ومن المعاني في ذلك أما كنتم تقولون لانهلك ، وحصل الإنغماس في النعم بجميع صورها ، حتى حصل التفكه ، والتبطـر ، وأكل حقوق الفقراء والضعفاء ، والكبرياء على الناس واستعبادهم ، لحاجتهم إليكم .

يظهر من هذا ما عليه بعض الناس في زماننا من الترف المهلك ، وذلك بعدم مراعاة حق الله في حاجته ، من الإهتمام بها ، والحفاظ عليها ، حيث أن هناك بعض الناس على سبيل المثال لا يراعون حق النعمة فيتصرفون بها بلا مبالاة ، وفهمت من هذا النص بعض الحالات في مجتمعاتنا ومنها :

-حالة ماتسمى بالتفحيط للسيارات ، فيقودها بشكل جنوني ، حتى يحرق محركها ، وإطاراتها ، وبلا شك لو أن هذا الشخص قد بذل جهداً كبيراً في الحصول عليها لما فعل هذا ، بهذه النعمة العظيمة ، أو أحياناً يذهبون إلى المسابقة في أماكن وعرة ، أو ثلجية ، أو رملية ، أو حجرية ، ومع ذلك يتلذذون بذلك ، وربما يفقدون أرواحهم في بعض الأحيان .

- ومن ناحية أخرى الترف في استعمال حاجة باهضة الثمن ، ويمكن أن يعوض عنها بأقل من عشر سعرها ، وهذا في بناء الدار فقد يكون هناك شخصان أو عدة اشخاص يقوم صاحب المنزل ببناء دار تسع لمائة شخص ، و قد لا يسكن فيه أصلاً ، أو يتردد عليه في أيام معدودة في السنة ، ولكن لكي يقال هذا قصر فلان فيعـــدّ ذلك استكبارا في الأرض ، و ترفعاً على الناس في الوقت الذي كان في يوم من الأيام لايملك خيمة تحميه من الحر والبرد، وكذلك الحال في أثاث المنزل ، أو يستخدم آلات ذهبية ، وكل ذلك من أجل التعالي على الناس ، وهناك من لا برضى أن يكون لأحد مثله في جميع نواحي حياته الشخصية ، و كل ما يخرج عن حده يكون إنكاراً للنعمة ، وعدم الإهتمام بها ، وعدم تقديرها ، و حكي عن السلف الصالح أنه كان بعض الصالحين كان لا يستخدم في العمل إلاّ بدلة واحدة ، وحينما تخلق يتصدق بها ، ثم يستبدلها .

- أما بالنسبة للنساء فيكون الترف في الإفراط في استعمال الذهب حتى وصل الأمر إلى إستعمال الحذاء الذهبي بوضع أسورة عليه ، ومن صور الإفراط والترف في استعمال الذهب للأطفال إستعمال الثديـيّـة الذهبية للأطفال .

وفي الطعام من صور الترف إستعمال الأواني الذهبية المستخدمة في الأكل والشرب ، من الأكواب ، والأباريق ، والأواني ، والملاعق ، وغيرها ، ومن صور الترف شراء الحيوانات بأسعار خيالية ، والإهتمام بها بصورة مسرفة ، قد يكون أكثر من الإهتمام بالبشر والأقرباء ، وأنا واثق أن بعض الناس يصرفون على تلك الحيوانات أكثر من كثير من أقربائهم ، والمشكلة قد يكون وجود بعض تلك الحيوانات في البيت محرماً شرعاً أصلاً . وهكذا يكون الحال في جميع نواحي الحياة .

4-5 الربا :

يعتبرالربا نوعاً من المعاملات بين الأنواع نفسها على سبيل الزيادة ، ولقد تطرقت الشريعة الإسلامية إلى تفاصيل هذا النوع من المعاملات ، وحرَّمها ، وبيَّـنـت الشربعة الإسلامية المخاطر التي تحدق بالأمة حينما تقوم بهذا العمل ، وإن تأثير الربا على المجتمع يكون بشتى صنوف الأخطار ومنها : التأثير الأخلاقي حيث يكون بالإستغلال والأنانية ، و التأثير على الأمن الإجتماعي فيزرع الأحقاد ويقطع روح التعاون بين الأفراد ، والتأثير على الأمن الإقتصادي فيتسبب بحدوث الأزمات الإقتصادية الكبرى ، والتاثير على الأمن السياسي فهو يعد من أهم أسباب استعمار الدول ، و كم من شركة أصيبت بالإفلاس ، وكم من نظام إنهار ، وكم من أشخاص في قمة الغناء أصبحوا في حضيض الفقر والعوز ، وباعوا الدور والشركات ، والأراضي والسيارات ، وأصبحوا ممن تحل عليهم الصدقات ، كل ذلك بسبب التعامل الربوي ولقد وردت آيات كثيرة في هذا الصدد ومنها : [الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّـهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا] ، (سورة البقرة ، من الآية 275) . [يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)] (سورة البقرة ، آية 276) .

6- الأسباب الاجتماعية لسقوط الحضارات في القرآن الكريم

6-1-الظلم:

ورد في القرآن [وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ] . (سورة سبأ ، آية 18-19) .

من القواعد الأساسية التي تنهار بها كل حضارة ، انتشار الظلم في المجتمع ، ولقد وردت آيات كثيرة في هذا المضمار ، تحت عدة ألفاظ ومنها : ظَـلَمَ ، بفتح الجميع ، وهو فعل ماض ، ويظلمون ، و ظُلْم بضم الظاء ، كمصدر للفعل ، وظالم ، ومظلوم ، وظلّام ، ومن خلال مراجعة المعاجم العربية لتوضيح معاني الظلم تبين ما يلي :

الظلم : أن يتصرف الإنسان في مال غيره، ويتجاوز الحدود المألوفة ، وأن يضع الأشياء في غير مواضعها ، ويتصرف فيها بالنقصان والزيادة ، أو لا ينفذها في زمنها المحدد ، ويسرف في التجاوز . (ينظر : المناوي ، التوقيف ، 1/ 492) ، وأما عن الإختلاف بين الظلم والجور ، أن الجَــور تخالف الإستقامة في إنهاء النزاع بين الناس ، وأن الظلم أن ينقص حق الناس ، ومنح حقوق الناس هو ضد الظلم ، وما يعاكس الجور هو العدل بين الناس . (ينظر : العسكري ، معجم الفروق اللغوية ، 1/ 172) ،

ولهذا قال أهل الكلام : أن الظلم يكون من الجاهلين ، وأصحاب الحاجات ، وكلما ازداد جهل الإنسان عالجه بالظلم ، والذي يعرف حقوق الله لا يظلم أحداً ، وقد يكون من غلبة حب الدنيا والسلطة عليه فيظلم الناس . (المصدر السابق ، 1/ 173) ، وقال الشاعر

أما والله إن الظلم شين ... وإن الظلم مرتعُة وخيمُ

(السَّراج ، اللباب ، 1/ 261 ، ولم أعثر على قائله) . وقيل : نهاية الإنسان ودماره يكون بالظلم ، بمعنى سقوط الإنسان والحضارة يكون بالظلم الدائم . (المصدر السابق : 1/ 261) . و تعني كلمة المظلمة بالصفة التي يتصف بها الإنسان ، فيوصف بالظالم . (ينظر : المناوي ، التوقيف ، 1/ 664) . وينقسم الظلم إلى ظلم الحكام ، وظلم الأفراد ، أما ظلم الحكام فيندرج تحت الإفساد ، والتخويف ، وتضعيف الناس ، ليخضعوا لهم ، وأمـّا ظلم الأفراد ، فيكون بالفسق والفجور ، والإنغماس في الملذات التي تهلكهم في الدنيا ، وتعذبهم بها في الآخرة . (ينظر : المراغي ، تفسير المراغي ، 11/ 76) .

ونرى من صور الظلم الذي يكون سبباً في هلاك الأمة : أخذ حق إنسان بغير حق ، والإعتداء عليه ، والإستيلاء على أملاكه ، وتفضيل الجاهل على العالم ، ومنح إنسان شيئا بغير حق ، فإنك قد أخذت حق غيره ، كمدرس يمنح طالباً درجة واحدة ، دون غيره ، فإنه قد أخذ حق غيره ، فقد يتنافسون على التعيين ، وتكون هذه الدرجة سببا لرفض من حصل على الدرجة بحقه ، وحصول من زود بغير حق على الوظيفة ، وكذلك في القبول في الدراسات العليا ، و من صور الظلم وضع إنسان في غير محله ، و منح الضعيف منحاً بغير حق ، وحرمان صاحب الكفاءة من المنصب الذي يستحقه ، كل ذلك يبعث الحقد والحسد بين أبناء الشعب ، بل يكون سبباً في تقاتل الأخوة فيما بينهم ، وظهور النفاق ، والتملّق ، وبيع الضمير ، والتكالب على المناصب بطرق ملتوية ، والإستعانة بالأعداء ، و بالنتيجة ستنهار الحضارة ، وت هلك الأمة . ونظراً لكثرة الآيات المتعلقة بالموضوع فلا نستطيع ذكرها وشرحها جميعاً ، بل نكتفي بذكر بعضها ، ونشرح جزءاً من ذلك ومنها : [فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ] (سورة الحج ، آية 45) . [وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ] (سورة الحج ، آية 48) ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ] (سورة القصص ، آية 59) .

ومن خلال مراجعة التفاسير لهذه الآية نختار ما يأتي :

[وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ] (سورة سبأ ، آية 11) . و القصم هو كسر ما هو صلب ، وعرض أهل القرى هنا من باب الإستعارة باعتبارهم يتصفون بالقوة والجبروت ، فإذا حل بهم الدمار ، فغيـرهم اهون أن يزالوا ، ولايبقى لهم اثر (الشريف الرضى ، تلخيص البيان ، 2/ 226) ، و فسر القصم بالقوة في التدمير ، والتشدد في الموقف ، بخلاف الكسر ، فقد يلتئم ، ولكن القصم هو الدمار الكامل الذي لاعلاج له ، وكل ذلك بسبب الظلم الذي قاموا به ، واعتدوا على الناس ، (ينظر : الزمخشري ، 3/ 105)

و هَذِهِ صِيغَة تَكْثِير، فأَهْلَكْنَاهَم ، وَأَنْشَأْنَا أُمَّة أُخْرَى بَعْدهمْ . (ابن كثير : تقسير القرآن العظيم ، 9/ 394) . و أوضحت الآية أن العذاب والهلاك يشمل كل من اتصف بهذه الصفات في كل زمان ومكان . (ينظر : الشربيني ، السراج المنير ، 2/ 78) ، ومن أقوال المفسرين للآية : الإنذار المتكرر كناية عن شدة العمل الخسيس ، و يكون بين الإنذار ، والبـشارة ، و الوعد ، و الوعيد ، و الإخبار بدخول الجنة ، والحرمان منها ، والرحمة والعذاب ، واليأس منها لمن مات على الباطل ، وكلمة (كم) تعني التكثير ، و حرف (من) للتمتع الزائد ، والنيل من النعم ، وفي بعض الأقوال أنـــّها زائدة ، و في قول تكون صلة ، و لكنـــّها تدلّ على المعنى الغزير من الناحية البلاغية ، فتكون عامـــّة وشاملة للنفي ، والإثبات ، بتدمير القرى المتنوعة المتصفة بالظلم ، والغدر ، وبيان للأجيال القادمة ، وما كانت تفعله الأقوام السابقة مع المصلحين ، هو ماتفعله قريش ، مع المؤمنين ، ولايقتصر على ذلك بل هو شأن الظالمين في كل عصر ، ومكان ، وهو مستمر إلى قيام الساعة حباً بالدنيا ، ومناصبها ، وقد يكون التأخير ، ولكن الله لهم بالمرصاد ، ولابد من الهلاك والتدمير ، فما يحزن عليهم أحد ، بل يفرح الناس بهلاكهم ، ويقيمون الإحتفالات ، بفراقهم ، . (ينظر : الكتاني ، تفسير القرآن الكريم ، 10/ 3) .

2-6 : الطغيان :

ذكر القرآن الكريم في آيات كثيرة أنّ الطغيان سبب من أسباب إنهيار الحضارة ، فما هو الطغيان ، وما هي الآيات في ذلك ، فقال تعالى : [فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39)] (سورة النازعات ، آية 37-39) . وقال تعالى : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

(9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)] (سورة الفجر ، آية 6-14) .

ومن خلال مراجعة المصادر ذات الصلة تبين : أنّ أصل الكلمة : طغو ، و طغي : و الطُّغْيان : والأشياء التي تجاوز حدودها ، يطلق عليها هذا المصطلح ، والإنسان المتجبر ، المتعند ، يسمى الطاغية . (ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين 4/ 435) .

وطَغَى البحرُ، إذا هَاجَتْ أمواجُه . (الأزدي ، جمهرة اللغة ، 2/ 919) ، وكذلك العاتي ، والمستكبر ، والمتمادي ، المتجاوز للحدود يسمى : الطاغي ، (ينظر : ابن فتوح بن عبد الله ، 1/ 367) ،و تفسير غريب ما في الصحيحين ، 1/ 367) .

يتضح لنا مما سبق أن الطغيان هو التعالي على المبادئ والخروج عن المألوف ونقف عند الأية الكريمة :

[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ] تذكير برؤية القلب عن فعل الله بقوم (عاد) ومدينة (إرم) ذات العماد المرتفعة ، التي لم تكن شبيهاً لها في تلك الفترة ، ومهما كان البنيان قوياً فلايكون شيئاً أمام قوة الله تعالى ، وهي دلالة على قوة البشر في ذلك الزمان ، ومع كل ذلك أهلكهم الله عندما خرجوا عن الطاعة ، وارتكبوا المعاصي ، (ينظر : الجزائري ، أيسر التفاسير ، 5/ 565) ، وما يهمنا هنا هو الطغيان الذي يكون سبباً في انهيار الحضارة ، وما يفهم من جزئية الآية : أن التجاوز على المباحات من الله تعالى ، والتكبر على المحظورات ، بمخالفاتها سبب في العقاب . (ينظر : الطبري ، جامع البيان ، 24/ 373) ، و قال قتادة : إنما هو من أنواع العذاب الذي حـلّ بهم ، و ذكر السّدي (ت 127 هـ) : باختلاف العذاب يوما ، بعد يوم ، لإهانتهم ، وردعهم ، وبيان قدرة الله ، كان العذاب يتقلب كل يوم ، وكلمة السوط استعارة عن العذاب العام . (ينظر : النيسابوري ، الكشف والبيان ، 10/ 199) ، ومعنى (طَغَوْا فِي الْبِلادِ) قاموا بالمعاصي والتكبر على المصلحين ، وفسدوا في الأرض والفساد هو جميع انواع الشر ، والصلاح كناية عن جميع أنواع الخير ، ونتيجة الفساد هو العذاب ، : [فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ] و يُقَالُ : ((صَبَّ عَلَيْهِ السَّوْطَ وَغَشَّاهُ وَقَنَّعَهُ)) ، وَكَانَ الحسن البصري (ت 110 هـ) إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ : عذاب الله متنوع مختلف ، تحت مسمى السوط ، (ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب ، 31/ 154) . [وَثَمُودَ الذين جَابُواْ الصخر بالواد وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوتاد الذين طَغَوْاْ فِي البلاد فَأَكْثَرُواْ فِيهَا الفساد فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ](سورة الفجر : الآيات 9 - 13) . أوضح الله بوجود حضارت متنوعة ، والتي أصبحت محط أنظار أهل الحضارات ، إلى يومنا هذا ، والغرض منها التدبر ، والوقوع على الأسرار والعجائب ، وما تسمّى بالعجائب في هذا العصر ، وإن لم تعتمد الحضارة على الروح ، والوقوف مع المصلحين ، والإلتزام بالمنهج الرباني ، فتدمر ، ويهلك أهلها . (ينظر : الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، 18 / 11325) . ويتبيّن مما سبق أن الطغيان ، و التكبر ، و التكابر ، و التعالي على الناس سواء من قبل الأفراد ، أو الجماعات ، أو الملوك بعضهم أو الشعوب بعضها على بعض ، يكون سبباً في هلاكهم ، وذلك أن طغيانهم يؤدّي بهم إلى الإعتداء والطمع في ما لدى غيرهم ، وكم من دولة قوية إنهارت أمام شعب ضعيف حينما أراد كسر جناحهم ، وإذلالهم ، [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)] (سورة البقرة ، آية ، 126) .

7- : آراء في سقوط الحضارة :

في هذا المبحث نحاول أن نذكر باختصار بعض آراء العلماء والفلاسفة في سقوط الحضارات ، وما يثلج الصدر أنّنا حينما تتبعنا آراء الفلاسفة وعلماء الإجتماع من المسلمين وغيرهم ، رأينا أن ما أخبر عنه القرآن ، هي الأسباب الرئيسة لسقوط الحضارات ، ومن ذلك :

7-1 : رأي البيروني :

من فلاسفة المسلمين الذين تحدثوا عن انهيار الحضارة ، أبو الريحان البيروني ، محمد بن احمد (440 هـ) حينما يتحدث عن انهيار الحضارة الرومانية بافريقية الى العوامل الآتية :

بفساد اخلاق الرومان ، بكثرة الملاهي ، و اللهو أضعف اليد العاملة في تسيير الحضارة ، ووجود ديانة غير ديانتهم ، وحدوث الأحزاب المتنافرة ، ويرى البيروني أيضا أنّ من اسباب عدم بقاء حضارتهم هو طلب الإستقلال من الناحية السياسية والإدارية ، وكان هدف المستعمر جمع الثروة ، وعدم تفاعل أهل الديار معهم ، بسبب ترفع الرومان عليهم ، واستعبادهم ، وأنّ الدول مثل الأشخاص لها أعمار محدودة . (الجزائري ، تاريخ الجزائر ، 1/ ص ص 318-3019) .

7-2 : رأي ابن خلدون :

يرى الفيلسوف الإسلامي في الحضارة وعلوم الإجتماع ، ابن خَلْدُون : إنّ من أسباب سقوط الحضارة ، هو الترف والإنغماس في الملذات ، والإنهماك في الشهوات، ومنها شهوة البطن ، والملاذ ، والمشارب وطيبها ، وشهوات الفرج ، من الزنا واللواط ، فتختلط

الأنساب ، فلايعلم احد نسبه ، وتنقطع الشفقة الطبيعية ، ويرى أنّ هدف الإعمار : هو الحضارة ، ومتى بلغ الإنسان غايته تحــوّل الى النزول ، و بدأ بالهرم ، مثل الحيوانات ، والأخلاق الناتجة من الحضارة هي الفساد ، والحضري لطبيعته من اللين وعدم المراقبة يتحول للفساد ونتيجة الفساد الخراب والدمار ، ويرى أن من ثمرات الحضارة الخنث المؤدي الى الإنسلاخ من الخشونة والرجولية بخلاف البداوة المتمتعة بالبأس والشدة (مقدمة ابن خلدون ، 1/ ص ص 161- 210) .

ونستنتج من كلام ابن خلدون أن معظم الجيوش تكون من أبناء العشائر ، الذين أشربوا من القوة والخشونة .

3-7 : رأي روسو في سقوط الحضارة :

يرى الكاتب الفرنسي والفيلسوف الاجتماعي ، جان جاك روسو، (ت 1192 هـ / 1778 م) أنّ من أسباب انهيار الحضارات المرأة المتسلطة على الرجال المخنثين ، وفي كل بلد ، هناك رجال صنعتهم هذه النساء واللاتي خرجن عن المبادئ المرسومة لهن من الناحية الدينية والإجتماعية ، ويصفهن بالنساء المسترجلات المسيطرات ، الوقحات،ويصف نساء باريس بأنهن يغتصبن حقوق الجنس الآخر ، ويرى أن مكان المرأة في البيت،للحفاظ على الأمومة الأمينة ، مثل نساء قدماء اليونان ، و يشير الى نقطة جوهرية للحفاظ على الأسرة يجب أن تقبل زوجها سيداً ، وتكون هي سيدة البيت لصيانة النوع الإنساني . (ديورَانت ، قصة الحضارة ، 39- 305) ، ويشير الى ناحية أخرى مهمة وهي أن الأخلاق الفاضلة هي التقدم الحقيقي ، ومن مساوئ الرقي العلم فساد أخلاق البشر أكثر مما طهرها، والبداوة هي فردوس البراءة والسعادة . (المصدر السابق ، 39 / 43) .

4-7 : رأي توينبي في سقوط الحضارة :

من فلاسفة التأريخ في القرن العشرين أرنولد جوزيف توينبي (ت 1975 م) وهو بريطاني يرى أن سقوط الحضارة تعود الى فقدان الحس الجماعي ، والشعور بالولاء للأمة ، ويعود ذلك للأخلاق التي يحملها الفرد والأخلاق تكون سبب الأنهيار (بتول ، على عتبات الحضارة ، 1/ 41) .

5-7 الكمال سبب السقوط :

يرى بعض الفلاسفة ، أنّ الحضارة لها عمر معين ، وحينما ينتهي هذا الزمن تبدأ بالفناء ، فقالوا : إن الحضارة كالحياة تُفنى ما بلغت به حد الكمال (قصة الحضارة ، 2/ 73) .

ويظهر أنّ كل شئ حينما يصل إلى الذروة يبدأ بالتنازل .

6-7 : الحضارة لاتموت :

يرى بعض الفلاسفة ، أن الحضارة باقية ، فقالوا : بعدم سقوط الحضارة ، ولكنــّها تنتقل ، من مكان إلى آخر ، ومن أناس إلى آخرين ، حسب مقتضيات العصر ، فقد تحدث الحروب في بيئة ، فينتقل الناس إلى المكان الآمن ، وإن ظهرت الفحشاء ، في دولة ، ينتقل أهل الصلاح إلى بلد آخر ، وقد يبدعون في تلك الأوطان أكثر من إبداعهم في بلدتهم ، وحينما يحدث الكساد في بلد ، يرتحلون إلى بلد آخر ، فأهل المال متنقلون ، والتاجر يدور مع المال أينما وجد رحل . (ينظر : قصة الحضارة ، 8/ 211) .

6-7 : زوال الدافعية :

يرى بعض الفلاسفة أن من أسباب نشوء الحضارة عامل الدافعية والهمة العالية في بناء الدولة وحينما تنتفي هذه الدافعية تنهار الحضارة ، وتتعطل المصالح أو تتصادم .(بتول ، على عتبات الحضارة ، 1/ 50) .

ومن هذا المنطلق يرى علماء النفس أن طريق الأمنية ألذ من تحقيقها .

الخاتمة

من خلال رحلتنا العلمية مع هذا البحث ، توصلنا إلى نتائج كثيرة ، ومنها :

-إن القرآن الكريم قد اهتم بالحضارة كثيراً ، وتطرق إلى بعضها عن طريق الإشارة ، أو ذكر الإسم الصريح .

-لقد اهتم القرآن الكريم بالسعادة للبشرية جمعاء ، عن طريق الوئام ، والمحبة فيما بين البشر .

-لقد وضع القرآن الكريم الدستور للبشرية جمعاء ، فإذا تمسكوا بهذا الدستور فازوا ، وإن تخلـّوا عنـه حلّ بهم الدمار .

-إن من أبرز القواعد الأساسية التي حذّر البشرية من التقرب إليها ، والتي تكون سبباً للضياع الشامل للمجتمعات هي : (الكفر، الذنب ، الظلم ، الكبرياء ، التعالي ، الإحتقار ، محاربة العلم ، والعلماء ، والمصلحين ، وتشجيع الجهل ، والجهلاء ، والمنافقين ، ونشر الفقر بين طبقة والرفاهية بين طبقة أخرى ، ومحاربة المصلحين ، واتخاذ بطانة السوء ، ونشر الفساد ، والطغيان في المجتمع ، وترك العمل ، والإعتماد على جهات خارجية ، وغير ذلك مما يبعث الكراهية بين أفراد الشعب .

-تَـحـَـدّث القرآن الكريم عن أسباب هلاك الأمم السابقة ، و وضع ذلك مقياساً ، لهلاك الأمم الحاليـَّـة ، و القـادمـة ، ويعتبر ذلك نوعا من الإعجاز القرآني .

-تعتبر تفاسير القرآن الكريم مصادر أساسية في التأريخ الإسلامي ، في كثير من الجوانب ، وما تغافل عنه كثير من المؤرخين

-مـن خلال التأريخ القديم والحديث إتضح أن القـضـايـا التي ذكرها القرآن الكريم قد كانت ولم تزل سبباً رئيسياً في سقوط الحضارات .

. التوصيات :

أما أبرز التوصيات التي نوصي بها ، بعد إنجاز هذا البحث فهي :

-الإهتمام بالدراسات القرآنية في مضمار دراسة فلسفة التأريخ ، وذلك أن للقرآن الكريم تفسيراً خاصاً بالأحداث التأريخية .

-القيام بحملة لتفسير القرآن الكريم بصورة عصرية تتلاءَم مع الأحداث الجارية في العالم .

-بيان إعجاز القرآن الكريم في مجال الإخبار بالغيب .

-لم يزل القرآن الكر يم بحاجة الى تفسير في موضوعات شتى ومنها الجانب التأريخي .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر القديمة :

- إبن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : 597 هـ / 1201 م)
- زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، (1422 هـ)
- إبن حنبل : أحمد بن محمد (ت : 241 هـ / 855 م)
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد محمد شاكر : دار الحديث ، القاهرة ، ط 1 ، (1416 هـ - 1995 م) .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1406 م)
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب (1425 هـ / 2004 م) .
- إبن دريد : محمد بن الحسن (ت : 321 هـ / 933 م)
- جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1، (1987م) (3) أجزاء .
- ابن عاشور : محمد الطاهر بن محمد بن محمد (ت : 1393 هـ / 1973 م) .
- التحرير والتنوير : الدار التونسية للنشر ، تونس : (1984 هـ)، (30) جزءاً .
- ابن عجيبة : أحمد بن محمد ، (ت: 1224 هـ / 1809 م) .
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان : الدكتور حسن عباس زكي ، القاهرة ، ط : (1419 هـ) .
- إبن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774 هـ / 1373 م)
- تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت (1401 هـ) (8) ، أجزاء .
- ابن منظور : محمد بن مكرم بن على ، (ت : 711هـ / 1311 م) :
- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 3 ، (1414 هـ) ،
- أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي (ت : 745 هـ / 1345 م) .
- البحر المحيط في التفسير ، تحقيق :صدقي محمد جميل ، دار الفكر ،بيروت ، ط (1420 هـ) (11) جزءاً .
- أبو السعود : العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : 982 هـ / 1574 م) .
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بلا) .
- أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل (ت : نحو 395 هـ / 1004 م) .
- الفروق اللغوية ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، (بلا) .
- كتاب جمهرة الأمثال : دار الفكر - دار الفكر ، ط 2 ، (1988 م) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عبد المجيد قطامش ، 1/ 301) .
- الآلوسي : محمود بن عبد الله الحسيني (ت : 1270 هـ = 1854 م) .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، (1415 هـ) ، (16) جزءاً ، (15 ومجلد فهارس) .
- البزار : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت : 292 هـ / 904 م) .
- المسند ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله ، وصبري عبد الخالق الشافعي : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط 1 ، (بدأت (1988 م) ، وانتهت (2009 م) .
- البغوي : الحسين بن مسعود بن محمد (ت : 510 هـ / 1116م) .
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، تحقق : عبد الرزاق المهدي : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1، (1420 هـ) (5) أجزاء .
- البِقَاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن (ت 885 هـ / 1480 م) .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (بلا) .
- البلخي : مقاتل بن سليمان بن بشير (150 هـ / 767 م) .
- تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق: أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، (بيروت - 1424 هـ - 2003 م) ط 1 ، (3) أجزاء .
- الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429 هـ / 1038 م) .
- يتمة الدهر في محاسن أهل العصر ، المحقق: د. مفيد محمد قمحية : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، (1403هـ / 1983 م) (4) أجزاء .
- الثعلبي : أحمد بن محمد بن إبراهيم ، (ت 427 هـ / 1035 م)
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق : نظير الساعدي : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، (1422، هـ / 2002 م) (10) أجزاء .
- الحَرَالِيُّ : عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ (ت : 638 هـ / 1240 م) .
- نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران : تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، ط 1 ، (1418 هـ - 1997 م) .
- الحنبلي : عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت : 775هـ / 1373 م) .
- اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، (1419 هـ -1998 م) .
- الخازن : علي بن محمد بن إبراهيم (ت: 741هـ / 1340 م) .
- لباب التأويل في معاني التنزيل ، تصحيح: محمد علي شاهين : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، (1415 هـ) .
- الخلوتي : إسماعيل حقي بن مصطفى (ت : 1127 هـ / 1715 م) .
- روح البيان : دار الفكر ، بيروت ، (بلا) .
- الرازي : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت : 327 هـ / 939 م) .
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، تحقيق: أسعد محمد الطيب : مكتبة نزار مصطفى الباز ، السعودية ، ط 3 ، (1419 هـ) .
- الرازي : محمد بن عمر بن الحسن (ت : 606 هـ / 1209 م)
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3 ، (1420 هـ) .
- الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، بعد 666 هـ / بعد 1268 م) .
- مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر : مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، طبعة جديدة ، (1415 هـ - 1995 م) .
- الزحيلي : د وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت 1436 هـ / 2015 م) .
- التفسير المنير : دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط 2 ، (1418 هـ) ، (30) جزءا .
- الزمخشري : محمود بن عمرو بن أحمد ، جار الله (ت: 538 هـ / 1143 م) .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 ، (1407 هـ) ، (4) أجزاء .
- السلمي : محمد بن الحسين بن محمد السلمي (ت : 412 هـ / 1021 م) .
- تفسير السلمي وهو حقائق التفسير ، تحقيق : سيد عمران : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : (1421هـ - 2001 م) (جزآن) .
- السمرقندي : نصر بن محمد بن إبراهيم (ت 373 هـ / 983 م) .
- بحر العلوم ، تحقيق: د.محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت (بلا) (3) أجزاء .
- السُّيُوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911 هـ / 1505 م) .
- جامع الأحاديث ، فريق من الباحثين ، بإشراف : د . علي جمعة مفتي الديار المصرية ، على نفقة د . علي جمعة ، (13) جزءاً .
- الشربيني : محمد بن أحمد الخطيب (ت : 977 هـ / 1569 م) .
- السراج المنير : مطبعة بولاق (الأميرية) ، القاهرة : (1285 هـ) (4) أجزاء .
- الشَّرِيف الرِّضى ، محمد بن الحسين بن موسى (ت 406 هـ / 1015 م)
- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تحقيق وتقديم الدكتور : علي محمزد مقلد ، دار مكابة الحياة ، بيروت ، (بلا) .
- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت : 1250 هـ / 1834 م) .
- فتح القدير : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط 1 ، (1414 هـ) .
- الطبري : محمد بن جرير بن يزيد (ت : 310 هـ / 922 م) .
- جامع البيان في تأويل القرآن : تحقيق : أحمد محمد شاكر : مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، (1420 هـ - 2000 م) (24) جزءا . و تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط 1 ، 1422 هـ - 2001 م) عدد الأجزاء : 26 مجلد ، 24 مجلد ومجلدان فهارس .
- الفراهيدي : الخليل بن أحمد بن عمرو ، (ت : 170 هـ / 786 م) .
- كتاب العين ، تحقيق: د . مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي : دار ومكتبة الهلال (8) أجزاء .
- القرطبي : محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت : 671 هـ / 1273 م)
- تفسير القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، (1384هـ - 1964 م) ، (20) جزءا (في 10 مجلدات) .
- القشيري : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت : 465 هـ / 1073 م) .

- لطائف الإشارات ، تحقيق : إبراهيم البسيوني : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 3 ، (بلا) .
- القيرواني : علي بن فَضَّال بن علي ، (ت : 479 هـ / 1087 م) .
- النكت في القرآن الكريم ، تحقيق : إبراهيم الحاج علي ، مكتبة الرشد ، (بلا) .
- الماتريدي : محمد بن محمد بن محمود ، (ت : 333 هـ / 945 م) .
- تفسير الماتريدي : تحقيق : د. مجدي باسلوم : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، (1426 هـ - 2005 م)، (10) أجزاء .
- المُنَاوِي : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي ، (ت 1031 هـ / 1622 م) .
- التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر , دار الفكر - بيروت , دمشق ، ط 1 ، (1410 هـ) .
- النَّحَّاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت 338 هـ / 950 م)
- معاني القرآن الكريم ، تحقيق محمد علي الصابوني ، الناشر جامعة أم القرى (1409 هـ) ، مكة المكرمة ، (بلا) .
- النَّسَفي : عبد الله بن أحمد بن محمود ، (ت 710 هـ / 1310 م) .
- تفسير النسفى ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار : دار النفائس ، بيروت (2005 م) (4) أجزاء .
- النيسابوري : الحسن بن محمد بن حسين (ت : 850 هـ / 1447 م) .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق : الشيخ زكريا عميرات : دار الكتب العلميه ، بيروت ، ط 1(1416 هـ) .
- النيسابوري : علي بن أحمد بن محمد (ت : 468 هـ / 1076 م) .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق : دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، (1415 هـ - 1994 م) ، (4) أجزاء .

ثانياً : المراجع الحديثة :

- أبو زهرة : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد ، (ت : 1394 هـ / 1974 م)
- زهرة التفاسير : دار الفكر العربي ، (10) أجزاء .
- أحمد حطيبة : الشيخ الطبيب
- تفسير الشيخ أحمد حطيبة ، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- http://www.islamweb.net (الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا)
- بتول أحمد جندية : الدكتورة
- 48-على عتبات الحضارة ، دار الملتقى ، سورية ، ط 1 ، (1432 هـ - 2011 م) .
- الشيخ بيت الله بيات :
- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي ، جزء واحد ، ط 1 ، (1412 هـ) .
- الجاوي : محمد بن عمر نووي ، (ت : 1316 هـ / 1898 م) .
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، (1417 هـ) .
- الجزائري : جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري ،
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم ، المدينة المنورة ، ط 5 ، (1424هـ / 2003 م)
- السعدي : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت : 1376هـ / 1956 م)
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق : مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، (1420هـ - 2000 م) .
- السراج : محمد علي .
- اللباب في قواعد اللغة .
- الشعراوي : محمد متولي (ت 1418 هـ / 1997 م) .
- تفسير الشعراوي ، الخواطر ، مطابع أخبار اليوم ، مصر ، (20) جزءاً .
- مبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت : 1364هـ) .
- تاريخ الجزائر ، تقديم: محمد الميلي : المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر ، (1406هـ - 1986م) جزآن .
- المهدي : القاضي ، حسين بن محمد .
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال .
- الكتاني : محمد المنتصر بالله بن محمد (ت : 1419هـ / 1998 م) .
- تفسير القرآن الكريم ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- http://www.islamweb.net
- طنطاوي : محمد سيد (ت 1431هـ / 2010 م)
- التفسير الوسيط ، مصدر الكتاب : موقع التفاسير
- http://www.altafsir.com
- العاني : عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي (ت : 1398 هـ / 1978 م)

- بيان المعاني (مرتب حسب ترتيب النزول) : مطبعة الترقي ، دمشق ، ط 1 ، (1382 هـ - 1965 م) .
- د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش (ت 1434 هـ / 2013 م) .
- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز جميع الحقوق محفوظة للمحقق ، ط 1 ، (1429هـ، 2008 م) مكة المكرمة/ (9) أجزاء، الجزء التاسع: الفهارس
- الكتاني : محمد المنتصر بالله بن محمد (ت : 1419هـ / 1998 م)
- تفسير القرآن الكريم : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- http://www.islamweb.net
- محمد أبو المحاسن عصفور : الدكتور
- معالم حضارات الشرق الأدني القديم ، دار النهضة ، ط ، (1408هـ - 1987م) .
- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : 1403 هـ / 1983 م) .
- إعراب القرآن وبيانه : دار الإرشاد ، حمص ، سورية ، (دار اليمامة - دمشق ، بيروت) ، (دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت) ، ط 4 ، (1415 هـ) (10) مجلدات .
- المراغي : أحمد بن مصطفى (ت : 1371 هـ / 1952 م) .
- تفسير المراغي : مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ط 1 ، (1365 هـ - 1946 م): 30) جزءاً .
- وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (ت : 1981 م)
- قصة الحضارة : ، تقديم : الدكتور محيي الدّين صَابر ، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين : دار الجيل ، بيروت ، (1408 هـ - 1988 م) ، (42) ، جزءاً .

Quran's Explanation for Civilizations Fall

Yaseen Rasheed Al Zeebari
Akre University for Applied Sciences
d.yaseen.r@gmail.com

Abstract

The Research contains basic rules for Civilization ' s fall, within Quran ' s point of view, The Research is considered as part of History ' s philosophy The Researcher dependded upon thoughts of Holy Quran Explainers, now and elderly. Sometimes be explains the Verse (Aya) _ within the modern life standards , which shows the greatness of Holy Quran The Research included Preface about civilization ; Definition of civilization Aspects of civilization , Reasons of civilization ' s fall in Holy Quran Falsification of Reformers and ignoring thern Mutiny of leaders against thinkets , Injustice in selling ss buying , Loose of good morals , Oppression , usatisfaction luxury changing of facts , Neglecting of mail principles , Guilts Ostering of good people out of land ;
Leaving he divine rules, kings tyranny atheism, lechery adornment, arrogance, danism Moreover, this study is considered as an ethic program and a constitution for life on the level of individuals and groups for keeping comfortable living The Research included also tentioning of more than sixty personalities with their death dates in Hijra Vs Christ, The Research depended Upon about seventy rwferences

Key words: Civilized, Historical, philosophic study

رۆنکرنا قورئانێ بۆ کەفتنا شارستانیا

یاسین رەشید عومەر زێباری
زاکۆیا ئا کرێ بۆ زانستێن کرداری – پشکا زمانێ عەرەبی
d.yaseen.r@gmail.com

پوختە

ئە ڤ ڤە کۆلینە لبن ناڤ و نیشانێت (رۆنکرنا قورئانــێ بۆ کە فتنا شارستانیا) لخۆ ڤە دگــریت بنە مایێت شارستانیێ ل سەر رێبازا قورئانا پیرۆز ، ئەڤ خاندنە پشکەکە ژ فەلسە فا مێژۆیــێ ، ڤە کۆلەری ئاخفتنا خۆ پەسەندکر ل سەر هزرو بیرێن راڤە کەرێت قورئانا پیرۆز ، د کەڤن و نویدا، هندەک جارا ئەو رۆندکەتەڤە لدویڤ زانینا خۆ ل سەر بنە مایێت ژیانا نۆکە کو ئاشکرادکەت ، کو قورئان نەچارکەرە و کەس ناگەهیتە زانیناوێ یا گشتی هەر وەختەکی تشتەکێ نوی لێ تێتە زانین ، ئــەڤ ڤەکۆلینە پێک دهێت ژ پێشەکیەکێ لدۆر شارستانیێ ، پێناسینا وێ ، نیشانێت وێ ، ئۆ ژ ئەگەرێت هەرفاندنا شارستانــیێ ، کو قورێانا پیرۆز بەحسکری ، ئەو ژی باوەر پێنەکرنا وا کەسا ئە وێت داخازا چاکسازیێ دکەن ، ئۆ قوماندار گوهێ خۆ نەدەنە هزرڤانا و ، فەیلەسۆفا ، ئۆ زۆلمێ د کڕین و فرۆشتنێ دا دکەن ، ڕە وشت و ئەخلاق لاوازدبن ، زۆرداری دێ مشەبیت ، خەلک دێ بەترانبیت ، بەرفرەهــی دێ کەڤیتە دناڤ ژیاناوادا ، ڕاستیا وەردگــێرن ، دویرکەفتن ژ بنەماییت رەسەن ، ڕابوین پ گونەحێت مەزن ، دەرکرنا مرۆڤێن چاک و پاک ، ژ وەلّاتی ، دویرکەفتن ژ بنەماییت خودێ ئــەمر پێ کری ، مەزناتی ل سەر خەلکی ، و پ شاهانە بژین ، ل بورجێت بلند کەس نەگەهیتێ ، کارێت خراب بەلّاڤە ببن ، پ ئاسکرا گونەح بێنە کرن ، خەلک لدویڤ تازەییا و جوانیا بێ سنوور بچیت .... ل گەل هندێ ژی نڤیسەڤانی خاندنەک ئۆ رێبازەک ئاشکراکر ، کو ژیانەکا پوڕ ژ خۆشی و ئارامی پەیدابیت بۆ خەلکی ، چ تاک چ کۆمەڵ ، مللەت بژیت وەکی برا ، دویر ژ توندو تیژی ، و نەهامەتیێ ، ئۆ نۆسەری ناڤێت پتر ژ شێست کەسایەتیێت ناڤدارو رێبەر بەحس لێکر ، ل گەل بکارئینانا بتر ژ حەفتێ ژێدەرا ، ئۆ سەرکەفتن ژ خودێ یە

وشە سەرەکییەکان: خاندنە کا شارستانیە ، میژۆیی ، فەلسەفیە.